تطور الحركة الوطنية في السودان 1919 – 1924

The Evolution of the National Movement in Sudan 1919-1924

د. مصطفى عبيد [1] ، د. معتصم البشير بانقا إلهام [2]

[2]Dr. Muatasim Elbashir Banaga Elham ، [1] Dr. Mostefa ABID

جامعة المسيلة (الجزائر) mostafa.abid@univ-msila.dz

جامعة الخرطوم (السودان) elhamabashir@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/11/19	تاريخ القبول: 2020/12/08	تاريخ النشر : 2021/01/28

الملخص: تهدف هذه الدراسة الى إلقاء الضوء على تطور الحركة الوطنية في السودان من1919 إلى 1924م، وهي الفترة التي بدأ فيها السودانيون يستشعرون هويتهم وكينونتهم وانتماءهم القومي للوطن بمفهوم القومية والوطنية. حيث تبلورت هذه المشاعر في إطار قاعدة اجتماعية ضيقة وسط المتعلمين سرعان ما نقلوها إلى الشعب السوداني في ظل نظام الحكم الثنائي البريطاني – المصري.

ومن أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج هو أن بريطانيا حاولت عزل السودان عن محيطها العربي والإسلامي محاولة ضرب اللغة العربية والدين الإسلامي، قبل ان تبدأ في العمل على فصل مصر عن السودان للانفراد. ولذا كانت الحركة الوطنية السودانية نتاجا طبيعيا للتفاعل[1] السياسي والحضاري والظروف الدولية السائدة في تلك الفترة، فاستفادت من المد التحرري الذي اجتاح معظم الدول العربية في مواجهة المستعمر الذي حاول طمس هويتها الوطنية، وكانت محطة أساسية من محطات النضال السوداني من أجل استعادة حريته، وهو ما حصل في الفاتح جانفي من عام 1956 م.

الكلمات المفتاحية: السودان، الحركة الوطنية السودانية، نادي الخريجين، كلية غوردن، جمعية اللواء الأبيض، الاتحاد السوداني.

The Evolution of the National Movement in Sudan 1919-1924

Abstract: The aim of this study is to shed light on the development of the National Movement in Sudan from1919-1924, the period during which Sudanese people developed a feeling of belongingness that was transferred to the society.

The study uses descriptive, historical and analytical approaches to analyze the data collected from sources. It is found that National Movement in Sudan was a result the interaction of political, civilization/ cultural and the world's circumstances then .

The study also shows that the Sudanese national movement was natural because of the political and civilizational conflict that took place between the British occupation administration in Sudan and the Sudanese patriotic youth affected by the international conditions that prevailed in that period after the First World War. All these contributed to, the Sudanese feeling of their nationalism and the necessity of their liberation. This feeling was translated into revolutions to get independence.

Keywords: Sudan. National Movement in Sudan. Alumni club . Gordon college. The white Flag Leaue.

المؤلف المرسل: د. مصطفى عبيد [1] ود. معتصم البشير بانقا إلهام [2]

1. مقدمة:

تمثل الحركة الوطنية السودانية نقلة نوعية في الفكر السوداني بالاتفاق حول مناهضة الاستعمار البريطاني، ولو أنها كانت محل خلاف بين تشجيع الاتحاد مع مصر في إطار شعوب وادي النيل أو الاستقلال التام عنها مع بقاء رابطة الجوار. ولم يكن الشعور القومي في السودان وليد 1919م، وإنما كان إثر دخول العثمانيين والمصريين عام 1821م. وفي هذا المقال استخدمنا المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، محاولين أن نلقي الضوء على مرحلة هامة من مراحل العمل التحرري السوداني، وهو المتمثل في الحركة الوطنية السودانية وتطوراتها. فماهي إرهاصات تأسيسها؟ وما العوامل التي أدت إلى بروز العمل التحرري الوطني في صيغته القومية بعد 1919م ؟ وما تركيبة الحركة الوطنية السودانية؟ محاولين في ذلك كله أن نصل إلى أهم النتائج التي استخلصناها من هذه الدراسة.

2. عوامل ظهور الحركة الوطنية السودانية:

مع دخول العثمانيين والمصريين السودان سنة 1821م برزت الكينونة السياسية الموحدة للسودان، أو بمفهوم آخر تشكل السودان بحدوده الطبيعية، وشعر الناس بوحدتهم انطلاقا من مختلف مقوماتها، وأهمها هنا ظهور حدود الوطن، فتبلور عندها ذلك الشعور بالوطن، وبرزت ملامحه. وتنامي الإحساس به مع مرور الزمن، وأخذ الشعور القومي يتطور ليصبح أداة للتماسك والتلاحم. وقد ظهر ذلك في أهل السودان الذين عبروا عن سخطهم ونضالهم الوطني السوداني ضد المستعمر حيث قامت العديد من الثورات التي تطالب دوماً بتحقيق الاستقلال الذي تحقق بعد كفاح مسلح عام 1956م. (شكري، 1974، 01)

على أثر مقاومة السودانيين، وثورتهم ضد الحكم التركي المصري انتصرت الثورة المهدية، وتم استرداد السودان عام 1885م، واستشعرت البلاد طعم الحرية طوال فترة حكمها إلا أنها لم تضف جديداً من الناحية الإدارية، ولم تنهض بالبلاد سياسياً، وتحكمت في صياغة أيديولوجيتهم وحصرتهم في إطار الصوفية. فقد اعتمدت على خبرات الوطنيين من عهد الحكم السابق، فلم تفلح في تطور السودان إدارياً ولا اقتصادياً لتفي بمتطلبات المرحلة. فظهرت بوادر الاستعمار مرة أخرى بثوب جديد من خلال الحكم الإنجليزي – المصري الذي سيطر على السودان عام 1885م من خلال اتفاقية الحكم الثنائي. (Holt. 1961. P 122) (حيدر، 2013، 14، 15)

وبسبب ظروف ما بعد الحرب العالمية الأولى عام 1918م بدأ الوعي التحرري ينتشر في أوساط الشعوب المستعمرة قاطبة ومن بينها السودان، ولكننا يمكن أن نحصر مجموعة من العوامل التي نراها رئيسية في ظهور الحركة الوطنية السودانية وهي كالآتي:

2. 1. ظهور مبادئ ويلسن الأربعة عشر:

منذ إعلان الرئيس الأمريكي وودرو ويسلن مبادئه الأربعة عشرة والتي من ضمنها حق الشعوب في تقرير مصيرها، سارع قادة الشعوب المستضعفة إلى المطالبة بحقها في تقرير مصيرها واستقلالها عن الدول الاستعمارية. ومنها مصر التي نادت عن طريق سعد زغلول بتقرير مصيرها ومصير السودان. رغم ما كانت مصر تعانيه من وضعها تحت الاحتلال الإنجليزي من جديد مباشرة مع اندلاع الحرب العالمية الأولى. وقد حاول سعد زغلول عرض مطالبه تلك في مؤتمر الصلح بباريس ولكنه مُنع. وكان رفقة الأمير خالد الجزائري الوحيدين اللذين استطاعا رفع صوتيهما المبحوحين تحت استعمار قاهر (فرنسا في الجزائر وبريطانيا في مصر والسودان).

2.2. إعلان الميثاق البريطاني الفرنسي عام 1918: وقد نص على حق الشعوب الواقعة تحت الحكم العثماني في تقرير مصيرها. (العكيلي، 2019، 230)

2. 3. مشاركة السودانيين في الحرب العالمية الأولى: مع اندلاع الحرب العالمية الأولى عام 1914م وجد السودانيون أنفسهم معنيين بأحداثها حيث كانت أراضيهم مسرحا لبعض معاركها مثل معارك السلطان علي دينار في دارفور بداية سنة 1915 عندما أعلن مؤازرته للخلافة العثمانية. (أبو شوك، 2018)

2. 4. التأثير المصري:

كان للتأثير المصري أثر كبير في ظهور القومية السودانية والحركة الوطنية بها، وذلك باعتبار الجانب التاريخي للمنطقة والجوار بين الشعبين. إضافة إلى اتفاقية الحكم الثنائي بين بريطانيا ومصر على السودان. وقد كان التأثير من خلال عدة أوجه. كان أهمها –في اعتقادنا– هو تواجد كتائب من الجيش المصري بضباطه داخل السودان، مما جعلهم يعملون على توعية السودانيين بضرورة الوحدة بين مصر والسودان، والعمل على طرد العدو المشترك وهو الاحتلال الإنجليزي. وقد كان ذلك جليا في مواقف الحزب الوطني المصري وقادته وعلى رأسهم سعد زغلول. وكذلك زيارة حافظ رمضان، وما تحقيقات لجنة ألفرد ميلنر (Alfred Milner) حول أثر ثورة 1919م المصرية في السودان إلا دليلا على ذلك.(العكيلي، 2019، 230)

وأما الوجه الثاني للتأثير ففي اعتقادنا كان من خلال المدرّسين المصريين بالمدارس السودانية المنشأة حديثاً، فقد نشر أولئك المدرسون أفكارهم القومية والتحريرية في أوساط السودانيين بدرجة جعلت أبناء السودان على درجة كبيرة من الوعي تجاه الوحدة بين مصر والسودان، أو تجاه ضرورة العمل على طرد المحتل الإنجليزي. وذلك من خلال الانفتاح على آداب المصريين وشعرهم، واللقاءات الخاصة بين المعلمين المصريين وتلاميذهم في مختلف الأماكن ولا سيما المدارس والمنازل والنوادي.

ومن جهة أخرى، نرى أن من أوجه ذلك التأثير أيضا، دراسة أبناء السودان بالأزهر الشريف، وقد جاءت تلك البعثات بوعي قومي تحرّري عميق بثّته في أوساط المجتمع السوداني. مما دفع بريطانيا، كما رأينا، إلى توجيه البعثات إلى أوغندا التي كان التنصير فيها في مجال التعليم منذ 1877م بدلا عن إرسالهم إلى مصر.(العكيلي، 2019، 234) وذلك تحت إشراف بريطانيا التي وصل عدد معلميها المنصِّرين في إفريقيا سنة 1925 إلى 6300 معلم.(الكحلوت، 1992، 94)

2. 5. الدور الإعلامي:

مع انفتاح السودانيين على الإعلام، وخاصة عندما صارت هناك أقلام سودانية تكتب في الصحف حصل وعي كبير لدى السودانيين. فالنخبة السودانية التي تكونت بالمدارس، والذين درسوا عند المصريين ومن صار لهم مستوى مقبولاً في الأدب شعراً ونثراً، وفي الجانب التاريخي والسياسي والإداري، كلهم صاروا يكتبون في بعض الصحف التي صار الشعب السوداني يتابعها، مثل صحيفة الرائد التي كانت تصدر باللغة الإنجليزية، وملحقها الأدبي باللغة العربية. فقد كان يرأس تحريرها الأديب السوري عبد الرحيم مصطفى قليلات. وصارت منبرا إعلاميا وأدبيا للشباب السودانيين المتشبعين بالوعي القومي والتحرري، حيث كتب فيها حسين الشريف عام 1911 مقالاً باللغة الإنجليزية دعا فيه المتعلمين السودانيين إلى تأسيس ناد اجتماعي يلم شملهم ويكون فرصة للنقاش في مختلف ما يعيشه المجتمع. وكانت تلك الدعوة أساس التفكير في إنشاء نادي الخريجين عام 1918. وبذلك كان حسين الشريف من أكثر الناس قومية ضد الإنجليز. ومما كتبه على صفحاتها سنة 1917م مقالاً عكس فيه الواقع المؤلم للسودانيين ببلدهم فيما يعيش الإنجليز قمة الترف فكان مصيره النفي إلى مصر وانتهى أمر صحيفته إلى التوقف عن الصدور سنة بعد ذلك.(القدال، 1991، 424، 425)

ومثلما تكلمنا عن صحيفة الرائد، جاءت بعدها صحيفة الحضارة السودانية الناطقة باللغة العربية، لصاحبها حسين الشريف، ومن بين أهم أسمائها نذكر: علي الميرغني، عبد الرحمن المهدي ... تأسست

عام 1919 وقد كان حسين الشريف رجلا قوميا كما رأينا، ومن جملة مقالاته التحريرية التوعوية على صفحات صحيفته خلال سنوات 1919 – 1920، نذكر سلسلة من أربعة مقالات عن النهضة الوطنية وعن الوحدة بين الأوطان يقول: "وحدة الأمة هي جمع كلمتها تحت غاية واحدة إما إعزاز الوطن وإعلاء الجنس أو تأييد أو ترقية اللغة، ولكل وطنية من هذه الوطنيات مظاهر عديدة لعبت أدوارا مجيدة في التاريخ".(القدال، 1991، 431)

وتحت عنوان القضية السودانية، دعا حسين الشريف إلى الانفصال عن مصر لتكون السودان للسودانيين وإلى ضرورة تأسيس الصحافة الوطنية على يد السودانيين، ووضع أسسها وفنونها. فكان كل ذلك سببا في تعمق الشعور بالوطنية السودانية وانبثاق الوعي وسط المتعلمين الذين وفدوا من مختلف مدن السودان وأخذوا يبحثون عن روابط جديدة تشدهم وتجمعهم حتى تمكنوا من إقناع الإدارة البريطانية بتأسيس ناد للخريجين في أم درمان عام 1818م.(ضرار، 1989، 239 – 241)

3. إرهاصات نشأة الحركة الوطنية السودانية:

تعد سنة 1919 الحد الأول لهذه الدراسة، إذ شهدت ميلاد الحركة الوطنية السودانية في شكل جمعيات سرية حملت على عاتقها العمل السياسي القومي الوطني. خاصة وأن السودان كان تحت اتفاقية الحكم الثنائي، وهي اتفاقية ذات طابع خاص إذ أعطت لبريطانيا حرية الحركة والتصرف المطلق في السودان وأعطت لمصر حق الإشراف والمتابعة. (بخيت، 1972، 34) وبهذا الشكل فهي اتفاقية فريدة في نوعها، ليس لها مثيل في القانون الدولي. إذ استخدمت لأول مرة في السودان، ولم تكن مألوفة عادة في مستعمرات بريطانيا الأخرى. فعلى الرغم من أن السودان يتبع مصر ظاهرياً إلا أن بريطانيا أضحت المسيطر على الحكم في السودان. (شكري، 2014، 580، 581)

أما من الناحية الإدارية، فقد عملت بريطانيا على الجمع بين النظام التقليدي في السودان من خلال تجربة الحكم المصري به تحت العثمانيين، ومن خلال تجربتها في الهند. (بخيت، 1972، 36) ومن أجل ذلك سطرت برنامجاً تعليمياً يهدف إلى تخريج طبقة نصف متعلمة صالحة للوظائف الإدارية كوسيط بين الشعب وإدارة الاستعمار من جهة، والتمكين لهم باستخلاف المصريين بعد إخراجهم من السودان. لأن بريطانيا كانت تمهد لإخراج المصريين من الحكم الثنائي في السودان. فتم إنشاء قسم المعارف السودانية عام 1900م لتشجيع السودانيين على القيام بالأمور الإدارية في الدولة، وأسست خمسة مدارس في الخرطوم والمدن الكبرى، أهمها كلية غوردن (Charles Gardon) عام 1902 والتي هي أساس جامعة الخرطوم

الحالية، إضافة إلى مدرسة أم درمان للتصنيع عام 1907، وذلك لتعليم أكبر عدد من السودانيين. فتولى بها التدريس مدرسون مصريون، مما أدى إلى يقظة الروح الوطنية وتنامي الشعور بالقومية السودانية. (ضرار، 1968، 246)

هذا الشعور القومي جعل بريطانيا تفصح عن حقيقة سياستها بمجموعة من القرارات أهمها منع المصريين من التدريس في السودان، ومحاربة تدريس اللغة العربية في جنوب السودان والتدريس بدلا عنها باللهجات المحلية، مع فتح الباب واسعاً أمام الإرساليات التبشيرية الكاثوليكية والبروتيستانتية لممارسة التعليم وربطه بالكونغو البلجيكي وأوغندا، أما البعثات العلمية التي كانت تتجه إلى الأزهر أو لبنان فحولت بريطانيا وجهتها إلى أوغندا. والتفكير في عزل المثقفين الوطنيين السودانيين من إدارة البلاد مستقبلا، ومنح تلك المناصب لقادة القبائل الذين بدأوا في استدراجهم وإغرائهم بالمناصب كخلفاء للمصريين مستقبلا من خلال إصدار مرسوم القبلية. (أبو شوك، 2018)

والحقيقة أنه منذ الغزو البريطاني للسودان عام 1899م، ظهرت العديد من محاولات البريطانيين لإيقاف تسرب الأثر الفكري لمصر في السودان، والتركيز على تدعيم الإدارة الأهلية في المديريات التي يمكنها أن تعتبر مفيدة وقابلة للتعاون مع الإدارة البريطانية. وقد أكدت على أهمية دور "الإدارة الأهلية" في المستقبل ورجال الطرق الصوفية الذين عمدت الإدارة البريطانية على استغلالهم في دعم موقفها وإسباغ شرعية إدارتها للسودان. (باشري، 2000، 36)

هذا التحرر الذي كانت الإدارة البريطانية تخشاه، لم يكن من فراغ، وإنما نتيجة النضال السوادني السابق سواء في الثورة المهدية، أو في الروح القومية التي بدأت تظهر على مسرح الأحداث السودانية منذ مطلع القرن (العشرين). حيث أشعر السودانيون البريطانيين بالخطر من خلال حركات ثورية هامة قاموا بها، نذكر منها: حركة علي بن عبد الكريم بأم درمان عام 1900، وانتفاضة محمد الأمين البرناوي شرق كردفان وجبل تقلي سنة 1903، وثورة سنار بوسط السودان عام 1904، وثورة جبال النوبة عام 1906، وحركة ود حبوبة في ماي من سنة 1908، ومحاولة أحد أتباعه سنة 1912، إضافة إلى ثورة السلطان علي دينار التي بدأ التحضير والتفكير لها عام 1914 وقامت وانتهت سنة 1916 في إطار الصراع العثماني البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى. (سيف الإسلام، 2015، 26) (الزبير، 2019، 08) (كولينز، 2015، 15 – 18)

4. أهم مكونات الحركة الوطنية السودانية:

تكونت، إذن، نخبة جديدة من السودانيين واستطاعت أن تؤسس الجمعيات الأدبية وتهتم بالبحث والمطالعة وقرظ الشعر، ومقارعة كبار المؤلفين المصريين في محاولة لقراءة إنتاجهم ونقده. (السنوسي، 2014، 297 – 299) فكوّنوا النوادي والجمعيات، ومن أشهرها نادي الخريجين، وجمعية الاتحاد السوداني.

4. 1. نادي الخريجين:

بفعل النشاط التوعوي المذكور منذ مطلع القرن، تفتحت أذهان فئة المتعلمين للدور المنوط بهم في الحركة الوطنية، ومناهضة الاستعمار وقد كان لتخرج الدفعات الأولى من المدارس الأثر الواضح في ذلك. وخاصة أولئك المتخرجين من كلية غوردن التي لعبت دوراً كبيراً في بلورت الحركة الوطنية وقيامها، حيث ساهمت كثيرا في جمع السودانيين من مختلف الفئات الإجتماعية على كلمة الوحدة والتحرر. فقد كانت الكلية بالنسبة لطلبتها أرضاً جيدة للاجتماعات والمناخ المناسب الذى انصهرت فيه كل التقاليد والعصبيات وتحولت إلى ولاء للروح الوطنية والتطلعات الجديدة. (زين العابدين، 2019)

لقد أدرك بعض المدرّسين في مدرسة أم درمان أهمية تشكيل كيان يجمعهم، وفكّروا عام 1914م في تأسيس ناد يجمعهم دون تحديد مهامه إن كانت ذات طابع سياسي أو اجتماعي، وربما ينظر في مصالح المتعلمين وقضاياهم. وقد اقتضى الأمر بالضرورة موافقة أمين الحكومة التي رحبت بالفكرة على أمل أن تكسب ثقة هذه الشريحة المؤثرة في المجتمع رغم قلة عددها. فعينت مدير كلية غوردن رئيساً فخرياً للنادي المزمع افتتاحه في أم درمان. (باشري، 2000، 107)

كادت الحكومة ألاّ توافق على فتح النادي خاصة وأنها بدأت تفكر –حينها– في عزل المثقفين السودانيين عن تولي مقاليد الحكم في السودان، وتعويضهم بآخرين من قبل النظام القبلي الذي بدأت إدارة الاحتلال تمهد له بصدور مرسوم القبلية. كما بدأت في محاربة المدرسين المصريين، وفي محاربة اللغة العربية والدين الإسلامي في الجنوب، كما بدأت تعمل على طرد الموظفين المصريين من الإدارة تمهيدا لطرد الجيش المصري وإلغاء اتفاقية الحكم الثنائي لتخلو لها أجواء السودان. (باشري، 2000، 107)

أعاقت الحرب قيام النادي ولكنه تأسس بعد توقفها، فكان تأسيسه في ماي 1918م وجعلت بريطانيا على رأسه أحد الإنجليز رئيسا شرفيا له، وكان المتخرجون هؤلاء من كلية غوردن التي كانت بريطانيا تطمع أن تكون خادمة لأهدافها التعليمية والسياسية عموما. فمن خلال كل ذلك بات واضحا أن نية بريطانيا من

وراء تأسيس هذا النادي كانت خدمة مصالحها الاستعمارية، ولكن السودانيين تفطنوا للأمر وجعلوه منبرا حرا لخدمة قضايا بلادهم وقضايا الوطنية والتحرر.

4. 2. الجمعيات السرية

ظهرت الجمعيات السرية بعد عام 1919م وكانت ذات أهداف سياسية واضحة، واعتمدت وسيلة توزيع المنشورات السرية على نطاق واسع في مدن السودان المختلفة، الأمر الذي زامن تطوّر الأحداث السياسية في مصر متمثلة في ثورة 1919 الهادفة إلى تحرير مصر والسودان. وهنا أطلع ناظر كلية غوردن بعض الخريجين على مقال في جريدة التايمز الإنجليزية ينادي بمبدأ "السودان للسودانيين"، موضحا أن دولته (إنجلترا) تعمل جاهدة على تحقيقه. أما الهدف الخفي من ذلك فهو واضح وهو عمل بريطانيا على فصل قضية السودان عن القضية المصرية للاستفراد بالسودان. (شبيكة، 1964، 524)

4. 2. 1. جمعية الاتحاد السوداني:

تأسست جمعية الاتحاد السوداني بأم درمان عام 1920 على يد عبيد الحاج أمين، وهي جمعية مناهضة للاستعمار الإنجليزي بالسودان وداعية إلى تحقيق الوحدة مع مصر. (سيف الإسلام، 30) مستعملة أسلوب توزيع المنشورات، وتقوية الشعور الوطني في أوساط الشباب خصوصا والمجتمع عموما، وضرورة التمسك بالوحدة الوطنية ونبذ القبلية، كما لعبت أدوارا هامة في تشجيع طلاب العلم للسفر إلى مصر للتزود بالعلم. كما اهتمت بالمرأة من خلال اهتمامها تشجيع الفتاة على الدراسة والتعلم. ناشرة بذلك الثقافة والوعي بين طبقات المجتمع المختلفة. (حيدر، 2019)

ومن أبرز من كان بالجمعية مع عبيد حاج الأمين، نذكر: توفيق صالح جبريل ومحي الدين جمال أبوسيف، وإبراهيم بدوي، وسليمان كشة وقد تميزوا بسنهم الشبابي وأفكارهم الأدبية وروحهم الوطنية القومية التحررية. ثم التحق بهم جماعة من طلبة وخريجي كلية غوردن، وخيرة الوطنيين السودانيين، وأبناء الطبقة الوسطى والأدباء والضباط. (بخيت، 1972، 73)

كان أصحاب هذا التنظيم يتتبعون تطور نضال المصريين من أجل حريتهم ويتناقشون في مجالسهم في نادي الخريجين بأم درمان، ثم انتقلت المناقشة للمجالس الخاصة في المنازل. وحسب ما يروي السيد سليمان كشة أحد مؤسسي هذه الجمعية فإن شعارها كان "السودان للسودانيين والمصريين أولى بالمعروف" وكان نشاطهم يتركز في توزيع المنشورات التي تنادي بمناهضة الحكم البريطاني. (بخيت، 1972، 74)

بدأ الاتحاد نشاطه بالأدب والموسيقى والفن وانصرف الجهد الأكبر لتنظيم المسرحيات والندوات الأدبية، ولكن عمله السياسي تبلور في شكل هجوم على الإدارة البريطانية ومن تعاون معها من السودانيين وعلى زعماء الدين التقليديين. مثل تلك الرسائل التي كتبها عبيد حاج الأمين موجهاً الاتهام لزعماء الطوائف الثلاث واصفهم: "بعبادة الملك جورج ونبيه لي ستاك (Sir Lee Stack) الحاكم العام" (شبيكة، 1964، 524)

ساهمت هذه الجمعية في إرسال الطلبة لمواصلة دراستهم في مصر، وهذا عكس ما كانت تعمل عليه إدارة الاحتلال. وكانت تلك الخطوة في حد ذاتها مجازفة خطيرة من وجهة نظر الإنجليز، كما عملت على إلهاب المشاعر الوطنية في المجتمع السوداني. فكانت بذلك خطوة جريئة ورائدة. (القدال، 1991، 437)

كانت جمعية الاتحاد السوداني هذه تعقد اجتماعاتها في شكل حلقات سرية تضم كل حلقة عشرة من أعضائها يمثلهم واحد في المجلس الأعلى، حيث أن الأعضاء المؤسسين هم الذين يسعون لجذب المشتركين إلى هذه الحلقات، بينما تواصل الجمعية نشاطها السري. (حيدر، 2013، 29) أما شعارها فكان "السودان للسودانيين والمصريين أولى بالمعروف" فدعت بذلك إلى وحدة وادي النيل وتجسدت مبادئها في الدفاع عن الوحدة بين مصر والسودان تحت شعار وحدة وادي النيل، ورفض الحكم الاستعماري الإنجليزي المشترك بين البلدين. وقد تأسست لهذه الجمعية فروع في كل أقاليم السودان مرتبطة بمركز الجمعية في أم درمان. واستمر نشاطها حتى عام 1923م. (البحيري، 2009، 62)

قاد عبيد حاج الأمين اتجاهاً ينادي بتغيير أساليب واتجاهات جمعية الاتحاد السودانية، فرأى استبدال الأساليب السرية القديمة التي تناهض المستعمر، بأساليب أكثر فاعلية. وذهب ومؤيدوه إلى أن ثلاثة أعوام من النشاط الأدبي السري كافية للخروج إلى المواجهة المباشرة مع إدارة الاستعمار وأعوانه من السودانيين. ونادوا بحملة من المظاهرات حتى تتمكن الجمعية من كسب تأييد شعبي واسع لها. فكان ذلك انتقال من مرحلة السرية إلى مرحلة العلنية. هذا الاتجاه وجد معارضة من قِبل بعض المثقفين المحافظين الذين رأوا ضرورة التريث. فالبلاد لم تصل بعد إلى النضج السياسي الذي يؤهلها إلى الدخول في مواجهة مع الحكومة البريطانية، و ظهر الخلاف الذي اتخذ أشكالاً مختلفة، فانتهى باختراق صفوفها من قِبل مخابرات الاحتلال، فكانت الضربة القاضية التي أدت الى حلها، وانسحاب مؤسسها عبيد حاج الأمين، وانضمامه الى الضابط السوداني علي عبد اللطيف حيث قاما بتأسيس جمعية اللواء الأبيض. (القدال، 1991، 437)

4. 2 . 2. جمعية اللواء الأبيض:

يمكن أن نقول إن الفترة الممتدة بين 1922 و 1925 مثلت فترة تبلور وميلاد الحركة الوطنية السودانية التي أدت الى استقلال البلاد مطلع 1956م. ذلك أنه سنة 1922 تم الإعلان فيها عن "مطالب الأمة السودانية" من طرف علي عبد اللطيف. والذي انتهى به الأمر إلى السجن مدة سنة كاملة، وبعد خروجه في السنة الموالية (1923) أسس جمعية اللواء الأبيض. (بخيت، 1972، 71) متخذا لها شعار "وحدة وادي النيل" شعاراً سياسياً لها، الأمر الذي دفع الحكومة السودانية إلى الحط من مصداقية الجمعية ومؤسسها علي عبد اللطيف ووصفه بنصف المتعلم الذي خدعه السياسيون المصريون". (كولينز، 2015، 52) منذ ذلك الحين، ارتبط تاريخ جمعية اللواء الأبيض بشكل وثيق باسم مؤسسها علي عبد اللطيف (ضرار، 1989، 240) ، حيث برزت شخصيته عام 1923 م بعد خروجه من السجن، إذ أصبح بطلاً قومياً، من رواد القومية السودانية العصرية.

ينحدر علي عبد اللطيف من أبوين من قبيلة الدينكا بجنوب السودان، (حبشي، 1992، 62) ولد عام 1892م في منطقة وادي حلفا شمال السودان، نال تعليمه في المدارس الابتدائية بالخرطوم (ضرار، 1989، 240) (حبشي، 1992، 29، 30) كما استفاد من خلفية والده العسكرية، ومن فرص التعليم، فتخرج من الكلية الحربية عام 1914م برتبة ملازم، ونال ميدالية من الحاكم العام عند تخرجه لتفوقه في الجيش. كان ضابطاً مميزاً في الجيش المصري تحت إدارة كبار البريطانيين في منطقة أشول في جنوب السودان حيث رأى مآسي الاستعمار وإهدار كرامة الإنسان السوداني في وطنه، (القدال، 1991، 438) فحدث بينه وبين قائده خلاف شعر فيه بامتهان لكرامته، الأمر الذي أدى إلى نقله الى مدينة ود مدني، وقد ردد أثناء تقديمه لمجلس المحاكمة "نحن جنود الوطن". نقلت كلماته هذه إلى الأهالي فاستقبلوه في الخرطوم وهم يرددون "أرضنا تنبت الأحرار دائماً". ومنذ ذلك الوقت بدأ في مناهضة الاستعمار، فقد قادته روحه الوطنية إلى الشعور بالمسؤولية في نشر الوعي القومي بين أبناء بلده دون تميز بين شمال السودان وجنوبه. (ضرار، 1989، 241)

كوّن علي عبداللطيف مع مجموعة من رفاقه جمعية "اتحاد القبائل السودانية" التي كانت تدعو إلى سودان مستقل. ويتضح من دعوتها معالم الوعي القومي السوداني وملامحه، حيث آمن علي عبد اللطيف بحقوق أمته بشكل واضح، فما كان منه إلا أن حاول نشر مطالب شعبه في ماي 1922م أسماها "مطالب الأمة السودانية" أشار فيها بوجوب التعلّم، ووجه انتقاده لمشروع الجزيرة وطالب أيضا برفع الاحتكار عن

السكر. (ضرار، 1989، 240) كما نشرها في جريدة الحضارة، محاولا رفعها إلى السلطات الاستعمارية مبرزا الروح الوطنية للشعب السوداني.

هزت هذه المطالب الحكم الثنائي، وما كان من الإنجليز إلا أن ألقوا القبض كما أشرنا سابقاً على الضابط علي عبد اللطيف وأدانته المحكمة وحكموا عليه بالسجن سنة كاملة كما مر معنا، حيث خرج منه في أفريل 1923م. وأثنت الصحافة المصرية على موقفه بينما استمرت جريدة الحضارة في اتخاذ موقف عدائي حياله ومؤيديه. وفي عام 1923م أسس علي عبد اللطيف جمعية اللواء الأبيض فقد أصبحت نهجاً وطنياً يضج بالرؤى الثورية الوطنية، وشكلت دفاعاً قوياً ضد فصل السودان عن وادي النيل. (ضرار، 1989، 99)

كما سيظهر لنا هنا مدى تأثر جمعية اللواء الأبيض بالثورة المصرية، إذ كان شعارها متمثلا في علم أبيض مرسوم عليه خريطة وادي النيل، وفي إحدى زواياه علم مصر وكتب في الجهة البيضاء: إلى الأمام. (ضرار، 1989، 99) وتألفت قيادة الجمعية من الملازم علي عبد اللطيف رئيسا، وسكرتيره عبيد حاج الأمين، وصالح عبد القادر، حسن شريف، حسن صالح، علي ملاسي، وهبة إبراهيم، عبيد صالح إدريس، عرفات محمد عبد الله، الشيخ عمر دفع الله ، محمد المهدي الخليفة، عثمان محمد هاشم. إضافة إلى أعضاء سريين خفيت أسماؤهم لأن أكثرهم كان من موظفي الحكومة السودانية. ووضعت هذه المجموعة برنامجا لجمعيتها يتلخص في تأييد المصريين لموقفهم بطلب الاستقلال التام لمصر والسودان. (حسين، 2016، 661)

كان تنظيم الجمعية في غاية السرية، كل جماعة مستقلة عن الأخرى وغير معروفة للآخرين، بيد أنه من ناحية عملية تبددت السرية إذ كان معظم الأعضاء معروفين فيما بينهم تماما سواء في دائرة العمل أو محيط الخدمة المدنية أو النادي. (بخيت، 1972، 79) هذا وقد ظهرت لائحة جمعية اللواء الأبيض التي تحدد أهدافها المعلنة تجاه المستعمر الإنجليزي في أواخر شهر سبتمبر من عام 1923م وتضمنت ثمانية بنود تحدد فيها نشاطها وانتماءها للسودان وأن هدفها هو تحرير السودان من الاحتلال الإنجليزي، والمناداة بضرورة الوحدة مع مصر، ولخصت أهدافها في خدمة المصلحة الوطنية في السودان وتحقيق الوحدة مع مصر. (بخيت، 1972، 79)

كان من رأي جمعية اللواء الأبيض أنه من الضروري أن تتحالف مع الحركة الوطنية بمصر، لكي يظهر مدى ارتباط السودان بمصر والعمل على محاربة العدو المشترك بتوحيد الجهود والمواقف. ولذلك كان

اعتقاد الإنجليز بأن الجمعية قامت بإيعاز من مصر، ولم تظهر لهم الحقيقة إلا فيما بعد حين شعروا بأن السودانيين يريدون إخراجهم من السودان ومصر على السواء لنيل حريتهم، واسترداد كرامتهم وتحقيق أمانيهم القومية. (كولينز، 2015، 57)

انتشرت فروع الجمعية في مدن السودان الشمالية والشرقية، أما في الجنوب فلم تسمح الظروف الإدارية بانخراط أبناء جنوب السودان في العمل السياسي على الرغم من أن علي عبداللطيف من الدينكا، فبدأت الجمعية نشاطها بالإضراب السياسي العام في مواجهة الاحتلال البريطاني، إلا إن هذا الأسلوب لم ينجح بسب قلة المتعلمين العاملين في الحكومة، وتعرض الموظفين للاضطهاد من قبل البريطانيين. (شبيكة، 1964، 528)

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن الجمعية قد واجهت مشكلة من قِبل حفنة من الأعضاء الذين نهلوا من التعليم والثقافة الغربيين، وهي نفس المشكلة التي واجهت المتعلمين دوماً في كل البلاد المستعمرة. ذلك أن أيديولوجيتهم السياسية المستمدة من الفكر الغربي، لم يكن لها انعكاس عند معظم سكان السودان. (بخيت، 1972، 79)

ومثلما أشرنا، فقد أدت تطورات الأحداث السياسية في مصر والسودان إلى خروج نشاط الجمعية إلى الشارع وإلى جماهير الشعب السوداني الثائر في سلسلة من المظاهرات، حيث نظمت الجمعية عدداً من المظاهرات السلمية جابت شوارع الخرطوم وأم درمان والمدن الكبرى بالبلاد، مطالبة بسقوط البريطانيين، وخروجهم من السودان، ومؤيدة لمصر في نضالها التحرري ضدهم. (بخيت، 1972، 79)

وبناء على ذلك، أسرع الإنجليز لإلقاء القبض على زعماء الجمعية، وكان في طليعتهم في الخرطوم علي عبد اللطيف وعبيد حاج الأمين، وفي بورتسودان سجن علي ملاسي. وأخمدت الحركة في 04 جويلية 1924م بسجن علي عبد اللطيف، كما وضع أكثر أعضاء الجمعية في السجون، ومراقبة الباقين، وتشريدهم إلى مصر وغيرها من الدول. وكان تجاوب الوطنيين في تلك المظاهرات واشتراكهم فيها عظيماً مما دلّ على عمق في الوعي القومي. (شبيكة، 1964، 528) (سيف الإسلام، 2019، 35)

ظهرت المقاومة للمرة الثانية إلا أنها بطريقة مختلفة عن سابقتها فقد أخذ كثير من السودانيين من أسلوب التحدي والمواجهة طريقاً للوصول إلى الحرية والتأييد لمصر، وهذا ما أثار حماس الطلبة في المدرسة الحربية بالخرطوم. ففي نهاية 1924م قاموا بمظاهرة مسلحة طافت شوارع الخرطوم للتعبير عن رفضهم لحكم المستعمر البريطاني. وقد واجهتها القوات البريطانية بالقوة، وحاصرت المدرسة الحربية،

واعتقلت عدداً من الطلبة وقدّمتهم للمحاكمة. فحكم على بعضهم بالسجن لمدة ستة أعوام، وأساءت معاملة المعتقلين من الطلبة وأعضاء جمعية اللواء الأبيض. (ياغي، 54) فقاموا في 02 أوت بإضراب في السجن انتهى بهم إلى تشديد العقوبة عليهم. كما تمرد جنوب السودان بفعل ذلك بتاريخ 24 أوت 1924 انطلاقا من مدينة واو قبل أن يعم التمرد مدنا أخرى كثيرة بالسودان. (شبيكة، 1964، 529)

هذا، وتطورت الأحداث السياسية والعسكرية، حيث وصلت ذروتها باغتيال حاكم عام السودان والقائد العام (سر دار) الجيش المصري لي ستاك في نوفمبر 1924م بالقاهرة، على يد بعض الفدائيين المصريين. وقد أتاح اغتياله الفرصة المواتية للإدارة البريطانية التي أمرت سعد زغلول بدفع ضرائب تعويضية عن ذلك، وأن يأمر الجيش المصري من الخروج من السودان في 24 ساعة. وهو الأمر الذي رفضه سعد زغلول فقدم استقالته. واستسلمت بذلك القيادة في كل من مصر والسودان.

وهكذا انهارت حركة 1924م في السودان، واعتقل من زعمائها من بقى على قيد الحياة، ومن لم يتمكن منهم من الفرار أو الهجرة إلى مصر، وقدّموا للمحاكمة، وحكم على أربعة منهم بالإعدام رمياً بالرصاص، نفذ في ثلاثة منهم. أما الآخرون فحكم عليهم بالسجن لمدة طويلة. (دياب، 2006، 15)

5. خاتمة:

من خلال دراسة الحركة الوطنية في السودان من 1919 إلى 1924م استخلصنا النتائج الرئيسية التالية:

1- إن الشعور بالوحدة السودانية وبالوطن السوداني الموحد كان وليد الدخول العثماني المصري عام 1821م.

2- إن الحكم الثنائي الإنجليزي – المصري للسودان كان ظاهرة غير مسبوقة في التاريخ الاستعماري لبريطانيا. وهذا ما جعل الحركة السودانية تتشتت قواها وآراؤها بين طرد الاحتلال الإنجليزي مع بقاء الوحدة مع مصر، أم طرد الاثنين معا.

3- إن بريطانيا عملت ما في وسعها لتبقى البلاد السودانية ضعيفة اقتصاديا، أما مشاريع التنمية فيها فقد كانت بهدف تحقيق الرفاهية للاقتصاد الإنجليزي بوضع يدها على خيرات السودان ومياه النيل، وكان مشروع الجزيرة أساس تلك الأهداف.

4- عملت بريطانيا جهدها في محاولة طمس الهوية السودانية، من خلال ربطها بأوغندا والكونغو ثقافياً، وجعلت من التعليم التنصيري أساسا لذلك. كما حاولت طمس الثقافة العربية بعزل اللغة العربية من التداول في التدريس واستبدالها باللغة الإنجليزية وباللهجات المحلية.

5- حاولت بريطانيا تخريج طبقة نصف مثقفة من وراء تلك المدارس التعليمية التي ظاهرها نشر للعلم، وحقيقتها تدمير للإدارة السودانية، من خلال تخريج طبقة متعلمة تكون وسيطاً بين إدارة الاحتلال والسكان، وأن تكون يداً للاحتلال في السودان، وذلك من خلال إنشاء كلية غوردن التذكارية والمدارس الأولية. إلا أنها جاءت بنتيجة عكسية بفعل ظروف ما بعد الحرب العالمية الأولى.

6- إن الحركة الوطنية السودانية تطورت وقويت، ووعت بقضايا وطنها بعد الحرب العالمية الأولى سنة 1914م. فانتفض أبناء السودان سواء منهم خريجو المدرسة أو موظفو الجيش أو الإدارة، رافضين إهانة الشخصية السودانية واحتلال السودان. مما فتح أمامهم أبواب السجون وتوقيف الصحف والتشريد والإعدام ... كل ذلك كانت خاتمة نتائجه نصرا للسودانيين. ووبالاً على الإنجليز. وقد انتهى ذلك بتعمق الوعي الاستقلالي لدى أبناء السودان شماله وجنوبه، مما أدى إلى تطورات أخرى بعد 1924 انتهت إلى تحقيق الاستقلال في 01 جانفي 1956.

6. مراجع البحث:

6. 1. باللغة الإنجليزية:

[1] –Holt ,P,M, **Amodern History Of Sudan** ,London,1961,p122.

6. 2. باللغة العربية:

1- إبراهيم محمد حاج موسى، (1970) **التجربة الديمقراطية وتطور نظم الحكم في السودان**، دار الجيل، دار المأمون الخرطوم، السودان.

2- أحمد إبراهيم دياب، (2006) **معهد بحوث ودراسات العالم الثالث**، دورية رقم (4)، الدار العربية للنشر والتوزيع، مصر.

3 – أحمد رحيم فرهود العكيلي، (2019)، ثورة 1919 المصرية وأثرها في الحركة الوطنية في السودان حتى 1924، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، ع 03.

4- إسماعيل أحمد ياغي محمود شاكر، ()، **تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر " قارة افريقيا "**، ج2، دار المريخ الرياض.

5- جعفر محمد علي بخيت، (1972)، **الإدارة البريطانية والحركة الوطنية في السودان1919-1939**، ترجمة هنري رياض، دار الثقافة، مصر.

6- حيدر ابراهيم علي، (2013)، **الديمقراطية السودانية، المفهوم التاريخ المماسة**، ط1، الحضارة للنشر، القاهرة.

7 – روبرت أو- كولينز، (2015) **تاريخ السودان الحديث**، ترجمة مصطفى مجدي الجمال، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

8- زهران مصطفى حبشي، (1992) دور عبد اللطيف في الحركة الوطنية في السودان خلال الحربين العالميتين في الفترة 1914-1947، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات الإفريقية ، القاهرة ، مصر.

9- سمير عبد المقصود السيد (1990) ، **التعليم في عهد الحكم الثنائي في السودان 1899-1924**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الزقازيق، القاهرة، مصر.

10- ضرار صالح ضرار، (1989)، **تاريخ السودان الحديث**، ط 10، مطبعة سحر، جدة.

11- ضرار صالح ضرار، (1968)، **تاريخ السودان الحديث**، ط 03، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

12- عبد العزيز الكحلوت، (1992)، **التنصير والاستعمار في إفريقيا السوداء**، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط 02.

13- عبد الله الزبير، (2019)، "مقتطفات من سيرة السلطان علي دينار 1898 – 1916"، **مجلة البحوث التاريخية**، المجلد 03، العدد 02، جامعة المسيلة (الجزائر)، المجلة على الرابط: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/492

14- عبد الله حسين، (2016)، **السودان من التاريخ القديم الى البعثة المصرية**، ج2، دار الحياة للنشر والتوزيع، مصر.

15- علي البحيري، (2009)، **السودان تحت الحكم الانجليزي المصري، دراسة في علاقات ادي النيل 1899-1936م**، ط1، مكتبة مدبولي القاهرة.

16- الفاضل أحمد السنوسي، (2014)، **الدور الوطني لفن الغناء والموسيقى في السودان واثره الاجتماعي والسياسي في الفترة من 1820-1969م**، عبد الكريم مرغني أم درمان.

17- محمد سعيد القدال، (1991)، **تاريخ السودان الحديث 1920-1955**، ط1، مركز عبد الكريم مرغني، السودان.

18- محمد فؤاد شكري، (1947)، **الحكم المصري في السودان 1820-1885م**، دار الفكر العربي، مصر.

19- محجوب عمر باشري، (2000)، **معالم تاريخ السودان**، الدار السودانية للكتب، السودان.

20 – محمد فؤاد شكري، (2014) **مصر والسودان تاريخ وحدة وادي النيل السياسية في القرن التاسع عشر**، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة.

21 – مكي شبيكة، (1964)، **السودان عبر القرون**، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

22- نسمة سيف الإسلام سعد، (2019)، "أثر ثورة 1919 في الحركة الوطنية في السودان 1919 – 1924"، **مجلة المواقف**، جامعة معسكر (الجزائر)، العدد 10.

6. 3. المواقع الإلكترونية:

1 – أحمد إبراهيم أبو شوك، (2018)، "الحرب العالميَّة الأولى وتداعياتها في السُّودان: بمناسبة مرور مائة على انتهاء الحرب العالمية الأولى"، https://www.sudaress.com/sudanile

2- حيدر محمد علي، **(2019)**، "شخصيات عطرّت تأريخنا عبيد حاج الأمين الثائر المظلوم"، http://akhirlahza-sd.com

3- وجدي زين العابدين، (2019،) "ثورة 1919 تخلق الوعي القومي السوداني" https://alwafd.news